

جولة في العالم السفلي لسوق الباب الشرقي!

الباعة والشرطة طردوا اللصوص والمحتالين

احمد الاخرس
تصوير: نهاد العزاوي

مرة سمعت ادهم يتخاصم مع قريته له ومما قاله " لك بابا ، انا ابيع الخبز اليابس في باب الشرقي" ولم اكن اعرف معناها في ذلك الوقت ، الا ان الشيء الذي كنت اعرفه ويعرفه الكثيرون ، ان منطقة الباب الشرقي كانت هي محطة تسليتنا وبداية الوعي ، فاي شاب عراقي لم يتجود في الباب الشرقي؟ ولم يدافع للوصول الى احدى دور العرض السينمائية ، او نفق ساحة التحرير ، وفي ايام الاعياد خاصة ؟ لقد شكك هذا المكاتب ذكريات الطفولة كما لو انه الدنيا بأسرها .

لقد كنت سعيدا وانا احاول ان التمس كل خطوة في ذلك السوق الشهير في بغداد، المليء باحلام الشباب الذين قد تدفعهم الحاجة الى العمل هناك،وقد يكون هو اشهر سوق بحكم موقعه في وسط مركز العاصمة بغداد وقربه من العيادات الطبية والتي يقدم اليها المواطنين من مختلف المحافظات ، وهناك دور العرض السينمائية العديدة واستوديوهات التصوير،اعتقد ان اهمية سوق الهرج هذا لا تكمن فقط في انه يمثل مزاج رجل الشارع العراقي واحتياجاته بل انه يمثل الذاكرة البغدادية كذلك ، هذا السوق بدأ يعاني تغييرات عديدة هو الاخر.

اعتقد ان علي ان ابدا من حديقة الامة،هنا تكمن بوابة بغداد الحقيقية،لقد كان هذا المكان يمثل العالم السحري لكثير من الاطفال والمراهقين ايام (السينمات) وبارك السعدون، اعرف بعض الاصدقاء الصحفيين من الذين كانوا يعملون في المركز الصحفي الدولي ، حينما كانوا يرافقون صحفيين اجانب يزورون بغداد اول مرة فهم كانوا يبداون عادة رحلتهم السياحية من الباب الشرقي ونصب الحرية وسوق هرج . حديقة الامة هي الاشهر في بغداد ولكن لم يبق منها اليوم الا اسمها، فقد تهدمت اسيجة ناسورتهما ،وقطعت اشجارها واخترقت المياه من نافورتها ،يعبر الناس خلالها بسرعة، شاهدت مجموعة من الصبيان الذين كانوا يلعبون كرة القدم فيها، وهناك بعض المصورين الذين يحاولون ان يجذبوا بعض السابلة عليهم يلتقطون بعض الصور ليعودوا برزق لعائلاتهم، اقتربت من مصورين كانا بجانب تمثال امرأة ابيض اللون،سألتهما عن الازواج هنا،تذمر ادهمنا من سؤالي،اما الاخر فاجابني ان الازواج قد تغيرت في السوق، وان هذا المكان قد تعرض فيه الكثيرون الى عمليات اعتداء وسرقة!! كنت ارجب في ان انزل الى داخل نفق ساحة التحرير،ولكني لم اتعجب حينما وجدته مغلقا،بضع كراسية غطتها اوساخ كثيرة ،كان المكان قد تحول الى موقع لرمي الاقراض.

تذكرت اليوم الذي تم افتتاح النفق فيه،كان يوما جميلا حينما كنت هناك سلاما كهربائية عديدة ،يستعملها المواطنين صعودا ونزولا،او حينما كان هناك باعة يبيعون الاحذية المختلفة الانواع،او المحال العديدة المنتشرة داخل النفق،والمصورون ،نعم لقد كان مكانا جميلا.

لما سألته عن احوالهم هذه الايام قال: كان الوضع سيئا كثيرا بعد سقوط النظام ،ولقد شاهدت مقتل بعض السراق والذين كان الناس يشكون منهم،بعد ان زاد هؤلاء من نشاطهم ،وكان نحن الباعة نحمل اسلحة معنا حتى نحمي انفسنا،ثم قررنا ان نتكاتف مع بعضنا البعض لنقبض على اللصوص بانفسنا،ثم تسلمهم الى الشرطة وهكذا قلت حوادث السرقات، وتغير الوضع كثيرا،نحن مجبرون على العمل في الشارع،امنى لو استطع ان احصل على وظيفة في ايسة والذرة حكومية،واترك عملي هنا.

تحدث احد الباعة الذي رفض ان يذكر اسمه لانه يخشى من رجال الشرطة-الذين يضاقونهم بالتفتيش احيانا حينما يسألونه عن مصدر بضاعته ، كان يبيع بضاعة تضمنت سيوفا وخناجر ذات مقابض بلاستيكية جميلة!! يقول انها للزينة وانه يشتريها بالجملة من سوق التورجة . وقد امتدح الوضع الامني في سوق هرج ! وقد كرر العديد من الباعة هذا القول،اما جعلني ابحث عن اسباب هذا التغير غير المتوقع،وبينما كنت جالسا معه -مر احد الأشخاص وهو يحمل افعى في يده، ولما كنت احمل شجاعة تضاهي شجاعة اسماعيل ياسين تميتت من كل قلبي ان يبتعد ذلك الرجل بسرعة!

ماجستير فيا سوق هرج اذا صادف ان مررت في سوق هرج فلا تظن ان الباعة هناك هم اشخاص لم يحصلوا على فرصهم في التعليم فقد يكون البائع الذي تشتري منه بنظرا مستعملا قد تخرج في احدى الكليات ! او ان يكون ذلك البائع الذي تشتري منه جهازا كهربائيا رخيصا ،يحمل شهادة عليا كما هو الشاب عادل سعدون- من مواليد 1977 الذي تخصص في بيع اجهزة التلفزيون الخلوية ،ذلك الشاب الخجول طالب في المرحلة الثانية -ماجستير لغة عربية- تحدث لي عن حياته الدراسية وكيف استطاع ان يتفوق في دراسته رغم كل المعاناة التي واجهها وكان قد درس في جامعة العلوم الاسلامية في الاعظمية وتحدث عن معاناته حينما استجوبته ادارة الكلية آنذاك عن سبب اختياره لهذا المكان ،ولم يقبل اول الامر لأسباب طائفية،ولكنهم قبلوه بعد سقوط النظام.

عندما تجد نفسك وسط جماهير راكضة بشكل جنوني،ماذا تفعل؟سوف تركض سلبية عنه،وقد تولدت تلك الافكار من القصص الكثيرة التي يسمعاها الناس وقد لا يكون بعضها صادقا ،ان الباعة هنا اناس طبيون وهم متكاتفون فيما بينهم . تزوير شهادة زوجة عميد واضاف عادل "لا تظن ان المشتريين فقط هم من يتعرضون الى الاحتيال ،حتى الباعة انفسهم قد يتعرضون الى ذلك،ان ذلك كان في الجانب الاخر من النافق،وقد تصادفك احيانا ايام سود،اروي لك ماحدث معي في بداية عملي هنا ،جاء بيده يريد بيعها،يدت لي جيدة،ثم ذهبت انا والبائع الى صاحب محل للتصوير لكي يفحصها لنا،واذكر ان صاحب المحل ابدي ممانعة اول الامر ولكنه بعد ان تسلم الاشارة خفية من صاحب الكاميرا تغير الامر ،وبعد ان فحص الكاميرا قال انها جيدة واشترتها،ولكني حينما وصلت الى البيت وجدت انها لا تعمل!!

ومثال اخر، كنت في احد الايام انظر الى رجل وقد داهمه بعض النشالين ،وبينما كنت انظر اليهم مستنكرا تعرضت انا نفسي الى السرقة ،لقد حدث لك شيء بسرعة عجيبة .وقد تجد من يزور لك بعض الاوراق الثبوتية وهؤلاء كانوا يعملون علنا بعد سقوط النظام وانت اذا مررت بجانبهم سوف يلتفتون اليك ، وسوف يسألونك ماذا تريد جنسية او شهادة جنسية . هل تعلم ان عميدا في احدى الكليات قد وجد ان زوجته لم تكن حاصلة على شهادة الدراسة المتوسطة وقد زورت لها شهادة اعدادية، كانت زوجته طالبة في كلية اللغات- قسم اللغة الالمانية وقد حصلت على شهادتها تلك من الباب الشرقي!!

(وكضة) الباب الشرقي بيروي لي احد المعارف حادثة وقعت له قبل سقوط النظام يقول فيها: كنت صغيرا كان يملك (جنبرا) لبيع الكاميرات المستعملة ،كان يوم جمعة وهو اهم الايام في السوق حيث يزدحم الناس من كل مكان ،ويكثر فيه النبس والشراء ،وبينما كان الياس مشغولين في ذلك حدث امر عجيب:اذ اخذ الناس يركضون في كل مكان ،كان ثمة وحش يطاردهم،كان الناس يركضون من كل حذب وصوب ،وانت

حينما تجد نفسك وسط جماهير راكضة بشكل جنوني،ماذا تفعل؟سوف تركض سلبية عنه،وقد تولدت تلك الافكار من القصص الكثيرة التي يسمعاها الناس وقد لا يكون بعضها صادقا ،ان الباعة هنا اناس طبيون وهم متكاتفون فيما بينهم . تزوير شهادة زوجة عميد واضاف عادل "لا تظن ان المشتريين فقط هم من يتعرضون الى الاحتيال ،حتى الباعة انفسهم قد يتعرضون الى ذلك،ان ذلك كان في الجانب الاخر من النافق،وقد تصادفك احيانا ايام سود،اروي لك ماحدث معي في بداية عملي هنا ،جاء بيده يريد بيعها،يدت لي جيدة،ثم ذهبت انا والبائع الى صاحب محل للتصوير لكي يفحصها لنا،واذكر ان صاحب المحل ابدي ممانعة اول الامر ولكنه بعد ان تسلم الاشارة خفية من صاحب الكاميرا تغير الامر ،وبعد ان فحص الكاميرا قال انها جيدة واشترتها،ولكني حينما وصلت الى البيت وجدت انها لا تعمل!!

ومثال اخر، كنت في احد الايام انظر الى رجل وقد داهمه بعض النشالين ،وبينما كنت انظر اليهم مستنكرا تعرضت انا نفسي الى السرقة ،لقد حدث لك شيء بسرعة عجيبة .وقد تجد من يزور لك بعض الاوراق الثبوتية وهؤلاء كانوا يعملون علنا بعد سقوط النظام وانت اذا مررت بجانبهم سوف يلتفتون اليك ، وسوف يسألونك ماذا تريد جنسية او شهادة جنسية . هل تعلم ان عميدا في احدى الكليات قد وجد ان زوجته لم تكن حاصلة على شهادة الدراسة المتوسطة وقد زورت لها شهادة اعدادية، كانت زوجته طالبة في كلية اللغات- قسم اللغة الالمانية وقد حصلت على شهادتها تلك من الباب الشرقي!!

تشتري منه الجهاز ،تتفاجأ حينها ،انه فارغ من الداخل او هو عاطل لاقيمة له،لان ذلك السكران قد اصطادك قبل ان تصطاده ،او قد ياتيك ادهم بلامح اجنبية وبلكنة غير عربية ويريد ان يبيعه سلعة تكتشف بعدها انها مفشوشة وان الرجل ليس اجنبيا بل محتال!!

وعندما سألته، هل هذه الحالات موجودة الان؟ اجاب بالنفي قائلا ان ذلك كان يحدث في الماضي، لان الاسعار المرتفعة للتلفزيونات اناك تدفع البعض الى محاولة الاحتيال للحصول على المال،اما اليوم فمع تحسن الرضا في السوق انتمى الى جهة ما وكل جانب،هذا يقول لقد سرفت بضاعتي،وهذا يقول لقد سرفت نقودي،وتبين ان الكثير من الناس من الباعة والمشتريين قد فقد شيئا من ممتلكاته.

وتبين الامر بعد ذلك،وهي ان عصابة من اللصوص قد ابتكروا طريقة جديدة في السرقة الا وهي ان تركض مجموعة منهم الى جهة ما وهم يصرخون ويطالبون الاخرين بالركض،عندها يبدأ الناس بالركض ايضا بفعل (المحاكاة النفسية)!! ولئن تشعب وانت وسط زحام وهيجان وخوف معد الا وقدمك تركض من دون شعور.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.

لقد حزنت كثيرا وانا اتجول بين بعض دور العرض السينمائية، فمنطقة الباب الشرقي كانت مركزاً مشهورا بدور العرض السينمائية هناك!!وكان الاباء يحذرون اولادهم من الدخول اليها.